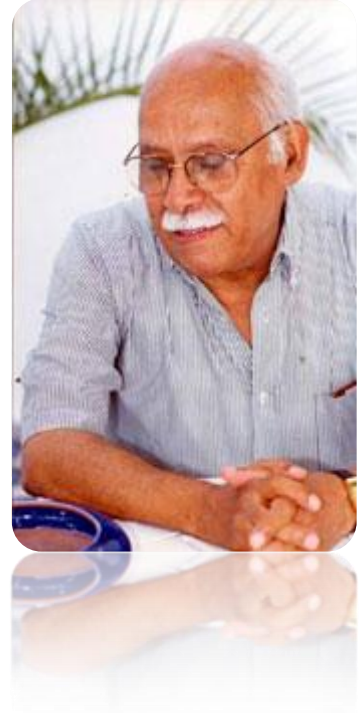


حوار مع شيخ الشعراء المغاربة الدكتور محمد السرخيني



إلتقاه : عبده حقي

خاص بالموقع

أشتهي أن أسوت في كامل الصلاحية

تعددت الكتابات وتعددت الأسباب والموت واحد... وإذا كان للموت شكل واحد فمغامرة مقارنته إبداعيا تتعدد بتعدد زوايا الشعور والنظرة إليه إن وجوديا أو فلسفيا أو إيديولوجيا وجيليا أيضا .

أن يكتب شاعر عربي عن الموت الرمزي أو موته القادم حتما .. معناه أن يوقف عداد الذات لحظة ليلج تجربة إفتراضية لطقوس إسدال ستار الحياة عن مشهد التوقيع الأخير بلغة تمتح قاموسها من تمثلات وتهيؤات كرستها نكبة الحياة وغمرتها تراكمات المعرفة وذخائر الذاكرة ..

وإقتناص حوار مع شيخ الشعراء المغاربة الدكتور محمد السرخيني في موضوعة الموت وعلاقته بالكتابة وبالشعر بالتحديد بعد هذه الرحلة الطويلة من عمره الزاخر والثري التي ناهزت الواحد والسبعين سنة ، تجعلنا في محطتها هاته نوقن أن عودتنا برفقته من جغرافيا عالمه الأخر قد حققت بكل تأكيد غايتها القصوى في الإطلالة عن بعض أسرار وألغاز الموت المتريص بالكتابة والكاتب بشكل عام ..

في هذا الحوار نتلمس مع شيخ الشعراء المغاربة محمد السرعيني في عتمة الحاضر بعضا من بصيص تجربته الشعرية الطويلة التي ناهزت نصف قرن كما نستجلي وجهة نظره وموقفه كشاعر عربي من عذوبة أو عذاب الموت...

س : بعد هذه الرحلة العمرية الطويلة من الكتابة والإبداع الشعري التي قاربت نصف قرن دعنا دكتور محمد السرعيني نبدأ حوارنا من اللحظة الراهنة ماهو جديدك ؟

ج : شكرا لك ، أنا بصدد كتابة نص شعري طويل في موضوعة الموت قد أكون (يضحك) بدأت أشعر بنوع من الخطر يقرب نهاية العمر .. في الأيام القليلة الماضية وبينما أنا أتصفح جريدة الشرق الأوسط عثرت على قصيدة رائعة للشاعر العراقي حميد سعيد .. قرأتها في العديد من المرات ووجدت أنها نص يساير تماما الأفكار التي أشتغل عليها وقررت أن أضع مقطعاً منها في مقدمة نصي الجديد الذي يتناول الموت كقيمة أساسية فيه.. إن الموت حاضر في العديد من سلوكنا وانشغالاتنا اليومية .. فالإنسان يأكل .. يشرب .. ينام .. يعمل .. يمشى على الأرض ثم فجأة يختفى .. يصير من تحت الأرض بعد أن كان يمشي عليها .. فنحن جميعاً حين نكون في عنفوان شبابنا لانبالي بالقلق الوجودي للموت ، لكن بعد أن نعلم نصيبنا من السنين يصير تفكيرنا جدياً في مسألة الموت ... إن جل المثقفين عندما يقاربون موضوعة الموت سواء كانوا فلاسفة أو شعراء نجد جلمهم يتجنبون الحديث عن حقيقة الموت كما هي ويتحدثون عنها من وجهة نظر مخالفة للحقيقة .. ومن دون شك أن حقيقة الموت لا يعلم بها إلا الله عزوجل لكن من جانبنا كبشر يمكن أن نتحدث مثلا عن عزرائيل ملك الموت عن سكراتها وعن القبور وعذابها .. إلخ بمعنى أننا لو استفضنا في الحديث هنا فسوف نقع في المحذور وأنا لورجعنا إلى كل الديانات السماوية والأرضية سنلاحظ أنها كلها تتحدث عن الوعد ويوم الحساب والجزاء إما بالجنة أو بالنار.

س : لكن دكتور الأيمن أن تكون نكبة الموت أقل وقعا وفاجعة في ذهن المثقف والفيلسوف والمفكر اللاهوتي منها في تصور الإنسان العادي ؟

ج : المثقف إذا كان وصوليا يشعربان الفرصة قد ضاعت منه ، أما إذا كان مثقفا عضويا **organique** لا يغمس قلمه في الدواة إلا بعد تفكير عميق فهو غالبا ما يطرح السؤال حول مامدى فاعلية ما كتبه في الحياة العامة وهو يتالم أما عظيما عندما يشرف على الموت لأنه يكون لديه إحساس كبير جدا بان المسافة الزمنية التي عاشها لا بد أن يحاسب نفسه عليها .. ماذا فعل فيها حتى يطمئن قلبه أو قد لا يشعربالإرتياح والطمأنينة والمهم هذا هو ما يسمى بصدمة الموت على المستوى العقلي والذهني...

س : هذا التفكير في موضوع الموت وعبئته يجعلنا نطرح بقلق يومي بالغ سؤال جدوى الكتابة ، أليس كذلك ؟

ج : إن كل أديب يعشق الكتابة فهو يتخذها وسيلة للتواصل مع العالم .. أما الكاتب الذي يشعر بأنه لم تعد لديه القوة الذهنية والبدنية للكتابة فتلك أزمة لأول لها ولا آخر، لكن بالنسبة لكثير من الناس الذين يستغلون الكتابة (للتبئيد) بمعنى التظاهر والبحث عن الصيت فهم لا يصارعون حدة التفكير في جدوى الكتابة يوميا بل إنهم فقط يسبحون في فراغ ولا أقول يملؤونه .

أما هذا النص الذي أكتبه في هذه الأونة فانا أتساءل فيه من خلال بيت شعري للمتنبى وأقول 😊
أمات أموت أم ذعر الذعر يتساءل فلماذا هذا أموت لا يموت ؟؟ (بضحك) أما في حالة ما إذا مات المثقف فماذا يمكن أن يحدث ؟ هنا يدخل التفكير الميتافيزيقي .. لكن أنا شخصا وفي غمار كل هذه الأسئلة أفكر في أشكال كثيرة من الموت .. منها الموت الطبيعي والموت بسبب حادثة شغل أو حادثة سير أو الموت الأوتانازي المعروف عند اليابانيين وفي هذا الصدد نلاحظ أن نسبة الانتحارات عندهم كثيرة جدا بالقياس إلى باقي بلدان العالم . فهل هذا الشعب قد بلغت حساسيته كل هذه الدرجة بحيث صار الإنسان عندهم يشعر بأنه لم يعد مرغوبا فيه وأنه لم يعد بإمكانه أن يقدم شيئا للمجتمع فينتحرا! إن ظاهرة الأوتانازيا تتطلب مجموعة من الاستعدادات السيكولوجية والمجتمعية والذهنية قد لا يقدم عليها سوى الإنسان الذي له القدرة الباطنية على إنجاز هذا الفعل وعندما نعود إلى التيارات الفلسفية والدينية اليابانية مثلا الديانة البوذية نجد أن هذا الشعب يتوفر على الأهلية السيكولوجية العامة لكي ينفذ مثل هذا السلوك الذي بواسطته استطاع أن يختصر العصور التي قضاها الإنسان في الغرب وفي إفريقيا وآسيا لكي ينشئ الحضارة الحالية وأنهم في مدة قرنين من الزمن أصبحوا في طليعة الدول المتقدمة ..

س : طيب لنعد إلى موضوع الموت وعندما نستحضر قضية الموت الإرادي الإختياري عند الكثير من المفكرين والأدباء كإرنست همنغواي وفي العالم العربي غالبا ما نثير تجربة الشاعر اللبناني خليل حاوي الذي أقدم على الانتحار احتجاجا على الإجتياح الإسرائيلي للبنان لم يكن لخليل حاوي أن يضع حداً لحياته بسبب موقف وجودي أو فلسفي أو فكري وإنما بدافع سياسي مارأيك في ذلك ؟

ج : لا بد من الإشارة إلى أن الشاعر اللبناني خليل حاوي عاش في حقبة كانت الفلسفة الوجودية في أوج عطائها .. وعندما نعود إلى التيار الوجودي فهو لا يدعوا إلى الانتحار نهائيا لكن بسبب القدرة النفسية التي يمنحها للإنسان تجعله مهيا لكي يقدم على فعل الانتحار.. لكن تجربة خليل حاوي وإن كان الكل يرجع سببها للإجتياح الإسرائيلي للبنان فانا غير متفق إطلاقا معه .. وعلينا أن

نعرف أن الشاعر خليل حاوي مسيحي لبناني وأن المشاكل التي يعاني منها المسيحيون اللبنانيون هي منفصلة تماما عن مشاكل اللبناني السني أو الشيعي... ماهي إذن بعض هذه المشاكل؟؟

من الناحية المسيحية السورية وهذا مذهب وحسب ما أعلم أنه أنقى مذهب مسيحي الآن .. ماذا ؟ لأنه مذهب قائم على تمجيد الفن فغالبا ما نجد هؤلاء المسيحيين موسيقيين ومطربين .. وهذه الرهافة الفنية من شأنها أن تخلق الكائن المرهف والقوي الإحساس بالمحيط لكن يقال أن صاحبنا كان ينتسب سياسيا إلى حزب العث العربي وأن هذا الحزب لم يستطع أبدا أن يجد حل لمشاكل العرب المسيحيين والعرب المسلمين والعرب السنة والشيعية ، ومن حيث هذه القضية فالمسيحيون العرب الذين كانوا سنيين في حزب البعث كانت لديهم حاجة متشبثون بها هي أنهم ساهموا مساهمة فعلية في بناء الفكر العربي القديم بحيث أن الذين نقلوا الفكر العربي من اليونانية إلى العربية كلهم مسيحيون مثل (حنين ابن إسحاق) وغيره ثم في اللحظة الراهنة شاركوا مشاركة فعالة في هذا الباب ومنها أنهم بقوا محافظين على الكتابة باللغة العربية .. أما الشيعة والسنة فهم ينظرون إلى القضية من زاوية نظرا إسلامية لاتفرق بين العربي والإسلام وعلى كل حال هذا النقاش قد جرى بحدّة وحسمه مجموعة من الباحثين المسيحيين منهم الشاعر خليل حاوي ... ولما أقرّ شعر خليل حاوي لأشعر فيه بنوع من التماهي مع حزب البعث ولاقضايا أخرى إطلاقا .. إذن ماذا نجد في شعره لست أدري... إنه هاوي شعر فحسب لأقل ولا أكثر والدليل على ذلك أن أغلب قصائده ينظمها على بحر الرمل .

س : دكتور محمد السرعيني ودائما في موضوع اموت نود أن نعرف كيف قاربت التجربة الشعرية والأدبية المغربية عموما هذه التيمة ؟

ج : حسب قرأتني هناك قلة ممن إهتموا بهذه الموضوعة ويمكن أن أشير هنا إلى الراحل الخمار الكنوني مثلا الذي أشار إليها إشارة خفيفة باعتبار اموت نهاية حياة .. ومن هؤلاء الأدباء من يعتقدون أن هناك حياة بعد اموت ومنهم من يعتقد بالفناء الأبدى ..

س : من دون شك دكتور أن رؤيتنا لمسألة اموت تتغير بتغير الأجيال وتعاقب السنين وانصرامها بسرعة نحو المستقبل ... الآن لوعدنا بك إلى ثلاثين عاما إلى الماضي كيف كنت ستتنظر إلى موضوعة اموت ؟

ج : هنا قد نجد أنفسنا في مطب .. لا بد أن نطرح بعض الأسئلة المتعلقة بشروط هذه المرحلة ؟

س : لنعد مثلا إلى سبعينات القرن الماضي ؟

ج : السبعينات بكل شروطها الموضوعية .. أقول لو عدت إليها بشروطها الثقافية وبقيت محافظا على ما حصلت عليه في الفترة الراهنة فسوف تنظر للموت على أنها غبن يغمر الإنسان ويجعله يشعر أنه ملاً قدراً من الفراغ... الآن والمنا فـللموت وجوه متعددة منها الطبيعي والإرادي (الانتحار) والمفاجئ ومهما يكن من أمر فـالموت ما زالت تمارس قانونها الطبيعي بنفس الصيغة التي كانت تمارس منذ الأزل منها الجزء القداسي والشعائري ومنها حتى المآثم لكن هل في إستطاعتنا أن نطبق ما وصلنا إليه من علم على مفهوم جديد للموت ؟؟ أعتقد لو نستطيع أن نتخلص من مجموعة من العقد الكامنة فينا وفي الجينات التي إندردنا منها .. هذا شيء متعذر لأننا لانستطيع تغيير جيناتنا لكن لدينا حيلة يمكن القيام بها هي أننا كيف نشتهي أن يكون موتنا .. طبعا أنا شخصيا أشتهي أن أموت في كامل الصلاحية !! لأنني أكره أن أكون عبئاً على الآخرين هذه من جهة ومن جهة أخرى في كثير من الأحيان أعتقد أن البكاء على الميت ولو كان من أقرب المقربين فهو مجرد ملق والدليل على ذلك أنه حين يموت أعز الأحاب ومباشرة بعد أيام قليلة يتحول الميت إلى (وجبة) عشاء (بضحك) أو (غذاء) وأتساءل هل بالإمكان خلق طقوس شعائرية ودينية تبين للناس أن الميت قد ترك شيئاً يذكر وهذا أمر نعاني منه جميعاً في هذا البلد السعيد وخاصة نحن الذين نشغل بالمعرفة والثقافة .. إلخ وإذن هذا النص الذي أكتب يسير في هذا السياق.

س : دكتور محمد السرغيني ألا ترى أن هذا النص قد يتماهى مع السيرة الذاتية باعتبارها في التقليد الإبداعي توقيعا وتجميعاً لتجربة حياة بعد طول عمر؟؟

ج : أنا أعتقد تمام الاعتقاد أن الإنسان الذي يكون عليه وجوب كتابة السيرة الذاتية عليه أن يطرح سؤالاً على نفسه : ماذا أنجزت ؟ بالطبع هي مسألة لا يفرمها أي إنسان وحتى لو لم ينجز شيئاً ذا قيمة فإنه دائم الوهم على أنه حقق في حياته منجزاً ثقافياً مهماً.. هناك حالة واحدة يكون فيها الإنسان لديه رسالة وخاصة إذا كانت رسالة ذهنية دأب على تطويرها في حياته شيئاً فشيئاً إلى أن وصل بها إلى عنفوان التفكير وبلغت مرحلة (la saturation) التشبع فبدل أن يقول عشت ومشيت وصادقت فلان وأحببت فلانة كل هذا لاجدوى منه بل عليه أن يتحدث عن الحركة التي صنعها منذ ولادتها إلى النشأة والتطور

وهكذا سيكون بالفعل قد قدم عملاً هاماً أما كتابة السيرة الذاتية وخصوصاً عند الروائيين فهي لاتخرج عن تداعيات الضمير المتكلم...

س : هل يمكن أن نعرف عنوان عملك القادم الذي حدثنا عنه والذي جعلت تيمة الموت موضوعه المحوري ؟

ج : العنوان سيكون (يفكر قليلا) هو : (من العالم الآخر) فانا أتصور الموت كان الإنسان إنتقل من دارحمراء إلى داربيضاء .

س : دكتور محمد السرعيني تطلع علينا الأخبار يوميا عن أحداث سياسية عربية من المحيط إلى الخليج بين احتجاجات هنا وثورات هناك وقتل للمتظاهرين برصاص الحاكمين في ليبيا ومصر وسوريا واليمن من خلال تجريبتكم الثقافية الطويلة ومواكبكم للتاريخ السياسي العربي على مدى نصف قرن تقريبا من سنوات الإستعمار إلى الآن وكذا إقامتكم في العراق أو أواخر الخمسينات وبداية الستينات ، كيف تنظر إلى ما يجري الآن على طول خارطة العربية ؟

ج : هناك تصور واحد وليس إثنين هو أن الثورات الحالية صنعها الشباب وأستغلها الكبار. ففي مصر الشباب هم من قادوا الثورة وأستشهدوا من أجل إسقاط النظام كما هو الشأن في تونس وليبيا .. الخ أما في المغرب فلدينا حركة 20 فبراير وهي حركة أطلقها شباب يافعون رفعوا شعار إسقاط الإستبداد ، لكن المشكل هو أن تيارات أخرى ركبت عليها واليوم هذه التيارات هي من تتحدث عن الحراك السياسي المغربي .

س : دكتور اليوم نتحدث عن تواربي وخفوت صوت المثقف الذي عرف في تاريخ الفكر العربي أنه هومن يضطلع بالدور الريادي في قيادة الإصلاحات بل والثورات في رأيك دكتور ما السبب في صمت المثقف العربي اليوم باستثناء حالات معزولة (أدونيس) مثلا ؟

ج : هذه قضية لي فيها وجهة نظر .. عندما نتحدث عن المثقف فهناك أعداد لا تحصى من أنماط المثقفين فليس هناك على وجه الأرض كائن بوجوه متعددة أكثر من المثقف .. فالأوروبيون حاولوا خلق مصطلحات عن المثقف العضوي والمثقف الثوري .. الخ في الحقيقة أن الثورة تقوم وعندما تستوي يتنازع حولها الذين أطلقوها ونفس الشيء يحدث الآن وهذه ظاهرة لا محيد عنها ، غير أنها تعتبر خطوة تليها خطوات أخرى لكن عندما تقع الفوضى فالناس يصبح لديهم هم واحد هو القضاء على الفوضى وبالتالي يصير التفكير السائد هو كيف نستاصل هذه الفوضى الحالية ..

س : دكتور عدوى هذا الحراك العربي إنتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وتم إحتيال شارع وول ستريت وغيرها من الساحات الشهيرة على غرار ما حدث في ميدان التحرير بالقاهرة والساحة الخضراء في ليبيا هل هي علامات تراجع الرأسمالية العالمية ؟؟

ج : أتذكر أنه أيام الإتحاد السوفياتي كان هناك شخص ثري وبمقدوره أن يشتري روسيا كلها بالرغم من النظام الشيوعي القائم وقتئذ ... لأعتقد أنه بوادرنهيار النظام الرأسمالي ثم لتساءل هل

الإنسانية قادرة على إختيار نموذج إقتصادي لايقوم على ركيزتي امال والذهب ؟ لااعتقد ذلك إطلاقا .إنتهى الحوار

إشارة : أجري الحوار يوم الأحد 8 أكتوبر 2011 بأحدى املقاهي بمدينة فاس بشكل عفوي وغير مرتب من قبل .

نبذة عن الشاعر

ازداد الشاعر محمد السرغيني بمدينة فاس سنة 1930 ، درس بجامع القرويين ، ثم التحق بكلية الآداب ببغداد سنة 1959 ، ثم عاد إلى المغرب وانتسب إلى كلية الآداب بالرباط ، قبل أن يسافر إلى باريس ويلتحق بجامعة السوربون . في سنة 1963 حصل على شهادة الأدب املقارن . في سنة 1970 حصل على شهادة دكتوراه السلك الثالث في سنة 1985 حصل على شهادة دكتوراه الدولة عمل أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس . يُعدّ محمد السرغيني أحد رواد القصيدة العربية المعاصرة بالمغرب ، إلى جانب الشعراء المرحومين : أحمد المجاتي ومحمد الخمار الكونوني . محمد السرغيني شاعر دائم التجريب ، شعرية الخطاب عنده لا حدود لها ، إنه شاعر متجدد باستمرار ، وربما - في اعتقادي - أدى به البحث المستمر عن أساليب جديدة في القول الشعري إلى الإغراق في الغموض غير المستحب .. ومهما كان ، يبقى الدكتور محمد السرغيني أستاذا أجيال ، ورائدا من رواد الشعر المغربي المعاصر ، أمدّ الله في عمره . من إصداراته الشعرية : ويكون إحراق أسمائه الآتية ،، الدار البيضاء 1987 ●

بحار جبل قاف ،، الدار البيضاء 1991

*الكائن السبائي ،، مكناس 1992

* من فعل هذا بجماعكم ،، فاس 1994

وله أيضا إسهامات نوعية في النقد والترجمة والرواية .